جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 45 / أيلول 2025

أفعال الكلام في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) مقاربة حجاجية

Verbs of speech in the sermons of jihad according to Imam Ali- an arugment approach

م. م حسين مجيد سلمان الخزاعي
Assit. teacher. Hussein Majeed Salman Al , Khuzaie

جامعة الزهراء/ كلية التربية
University Of Al-Zahra / College of Education

hussain.majeed@alzahraa.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الكناية، الحجاج، خطب الجهاد، الإمام علي (عليه السلام)، الإقناع.

Keywords: metonymy, arugment, sermons of jihad, Imam Ali, persuasion.

الملخص:

تُعد الكناية أبلغ من التصريح؛ بسبب تعبيرها الإيحائي فهي تضفي على الخطاب سمة حجاجية إقناعية تعمل على استمالة المخاطب لما يعرض عليه وإقناعه بما أريد إقناعه به، وحمله على التأثير والإقناع وعاده ما يستعمل المتكلم الكناية لتقوية حجته وجذب أفكار المتلقين من خلال معانٍ حسية من الواقع، وقد كانت الكناية من أهم الأساليب والآليات التي يلجأ إليها الخطباء والشعراء والكتاب لإضافة سمة جمالية على كتاباتهم تجذب المتلقي، ولهذا السبب تطورت البلاغة كثيرا وأصبحت ذات سمة حجاجية اقناعية تعمل على تقوية حجة الخطاب وتؤدي به إلى اقناع المتكلم بما يملى عليه من أفكار وأراء تدعم حجج الملقي للخطاب، لذلك تم دراسة الكناية من جانبها الحجاجي الاقناعي وكيفية تأثيرها في الخطاب على نص مهم من نصوص التراث العربي والإسلامي ألا وهو خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) وكيفية تأثير هذه الأساليب في دعوة الناس إلى الجهاد في سبيل الله.

Abstract:

Because of its suggestive expression, it gives the speech a persuasive argumentative feature that works to attract the addressee to what is offered to him and convince him of what I want to convince him of, and get him to influence and persuade, and usually the speaker uses the metonymy to strengthen his argument and attract the ideas of the recipients through sensory meanings from reality, and the metonymy has been one of the most important methods and mechanisms resorted to by orators, poets and writers to add an aesthetic feature to their writings that attracts the recipient, and for this reason rhetoric has evolved a lot And became a persuasive argumentative feature working to strengthen the argument of the speech and lead him to convince the speaker of the dictated ideas and opinions that support the arguments of the speech caster, so the metonymy was studied by the persuasive pilgrims and how it affects the speech on an important text of the Arab and Islamic heritage, and how these methods affect the call of people to jihad for the sake of God.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الحبيب محمد وعلى آله الميامين.

وبعد:

تُعد الكناية من أهم المحسنات البلاغية والبيانية حيث تجعل للكلام رونقا خاصا وشكلاً جذاباً ومعنى عميقاً يجذب المتلقي ويجعله يفكر ويحلل المراد من هذا الكلام المنمق، لذلك فإن الكناية تنقل ذهن المتلقي من التفكير بصور مجردة إلى التفكير بصور حسية ذات معنى حسي عميق يفهم من خلال تحليل السياق، وقد كانت الكناية من أهم الأساليب والآليات التي يلجأ إليها الخطباء والشعراء والكتاب لإضافة سمة جمالية على كتاباتهم تجذب المتلقي، ولهذا السبب تطورت البلاغة كثيرا وأصبحت ذات سمة حجاجية اقناعية تعمل على تقوية حجة الخطاب وتؤدي

به إلى اقناع المتكلم بما يملى عليه من أفكار وأراء تدعم حجج الملقي للخطاب، وفي هذا البحث تم دراسة الكناية من جانبها الحجاجي الاقناعي وكيفية تأثيرها في الخطاب على نص مهم من نصوص التراث العربي والإسلامي ألا وهو خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) وكيفية تأثير هذه الأساليب في دعوة الناس إلى الجهاد في سبيل الله، حيث قُسم البحث على مبحثين تسبقهما مقدمة وتتبعهما خاتمة وملحق للمصادر والمراجع، وكان المبحث الأول في مفهوم الكناية والحجاج ومصطلحهما، والمبحث الثاني هو تطبيقات على نماذج من الكناية في خطاب الإمام علي (عليه السلام).

هذا ولله الحمد على ما أنعم وفضّل.

المبحث الأول: الكناية والحجاج (المفهوم والمصطلح)

الكناية لغة واصطلاحا:

الكناية في لسان العرب: "أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره يكني كناية، يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه"[1].

أما الكناية في المعنى الإصطلاحي فهي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصل، "وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم أثبات معنى من المعاني، لا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء المعنى هو ردفه في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه"[2].

تمنع الكناية من إرادة المعنى الأصل لخصوص الموضوع، نحو قوله تعالى {**وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**} [الزمر – آية 67]، وكقوله تعالى {**الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**} [طه – 5]، كناية عن تمام قدرة الله عز وجل وقوة التمكن والاستيلاء.

تتألف الكناية من ثلاثة أركان هي: "1.المكنى به: هو دلالة اللفظ الظاهر التي تقوم دليلا على مراد المتكلم. 2.المكنى عنه: هو المعنى اللازم للمكنى به الذي يرمي إليه الناطق بالكناية. 3.القرينة العقلية التي تفهم من سياق الكلام لتدل على المكنى عنه، وتمنع من إرادة المعنى المكنى به"[3].

أما عبد القاهر الجرجاني فيقول في أثبات الكناية للمعنى: "إن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، أكد وابلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجا غفلا"[4]. لذلك فان الكناية عندما تقرع ذهن السامع تدفعه إلى البحث عن الدلالة التلازمية ما بين معنى اللفظ الظاهر والمعنى الخفي او المضمر.

ومن مميزات بلاغة الكناية أنها:"من ألطف الأساليب البلاغية وأدقها، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح؛ لأنها تنتقل من اللازم إلى الملزوم فهو كالدعوة ببينه كما أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، فضلا عن أنها تضع لك المعاني في صور المحسوسات، ويزاد على ذلك أن الكناية تعبر عن القبح بما تسيغ الآذان سماعه"[5].

إما من الناحية الجمالية فان الكناية تكسي الخطاب رونقا وجمالا، وتكسب المعاني ديباجة وكمالاً، كما تكون اشد وقعا في النفوس وتجذب القلوب إلى فهمها وبهذا تكون صورها جلية وواضحة ليكون التعبير بها حجة على صدق المعنى ودليل إثباته مما يزيد تأثيره في النفس وترسيخه.

حجاجية الكناية:

أما أهمية الكناية من الناحية الحجاجية فهي قدرتها على إثبات المعنى بطريقة ضمنية تفهم من خلال سياق الكلام، فلا تذكره باللفظ الموضوع له أي اللفظ الظاهر وإنما تأتي بمعنى يكون رديف المعنى الظاهر وتجعله دليلا عليه وبهذا تكون عمليه التصوير الكنائي هي نقل ذهن المتلقي من التفكير بصور مجردة إلى التفكير بصور حسية واقعية تفهم من سياق الكلام ويدل عليها المعنى الظاهر، وبهذا تصبح للكناية طاقة حجاجية إقناعية تفوق الاستعارة والتشبيه من خلال إيراد معانٍ مكنى بها عن معنى ضمني في سياق الكلام تجعل المتلقي يفكر بعيدا في ذلك المعنى ويتمعن به جيدا، ومن ثمَّ استمالته لما يعرض عليه فيقع التأثير في عقله ووجدانه.

تُعَد الكناية في نظرية الحجاج أبلغ و أوكد من التصريح والحقيقة لأنك عندما تذكر معنى وتصرح به يكون معروفا لدى الجميع ولكن عندما تأتي بمعنى مكنى به عن معنى آخر يستدعي التفكير والانجذاب لذلك المعنى من خلال قرينة عقلية تكون في سياق الكلام، وبهذا تكون الكناية أشد محاججة من الصور البلاغية الأخرى لما تضفيه على الخطاب من رونق وجمال وغموض يستدعي الدهشة والتفكير بتلك المعاني فتكون قادرة على تجسيدها وإثباتها من خلال معنى مضمر وعميق؛ لذلك فإن للكناية مقامها الخاص التي لا يستطيع أي أسلوب أخر أن يؤدي أدائها؛ لان هناك مقامات يكون التصريح فيها غير لائق، لذلك يقتضي إيراد الكناية فيها فيقع التأثير والإقناع وتتحقق حجاجية التواصل.

وتأسيساً على ما سبق يتبين أن مفهوم الكناية وطريقة إثباتها للمعنى مبنية على الغاية الحجاجية؛ لأن المتكلم لا يلجا إليها ليحقق التواصل ونقل المعلومة فقط بل ليؤكد صدق ما يلقيه إلى المتلقي من خلال الخطاب الكنائي، ومن ثمَّ يساهم في توليد دلاله النص وتكوينها، ولذلك عُدت الكناية من طرائق إثبات المعنى والدليل عليه ببينة.

المبحث الثاني: حجاجية الكناية في خطب الجهاد

من صور الكناية الحجاجية في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) والتي استطاع من خلالها الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله وإيصال هذه الفكرة إلى الناس بأجمل وأعمق صورة تحمل المتلقي على التفكير والانجذاب إليها ومن ذلك خطبة الإمام علي (عليه السلام) لأصحابه في بعض أيام صفين يقدم لهم بعض التوصيات والتوجيهات في القتال **قائلا:" معاشر المسلمين استشعروا الخشية، وتجلببوا السكينة، وعضوا على النواجذ فأنه أنبى للسيوف عن الهام، وأكملوا اللامة،وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلها، وألحظوا الخزر، وأطعنوا الشزر، ونافحوا بالظبا وصلوا السيوف بالخطا، واعلموا أنكم بعين الله..... وعليكم بهذا السواد الاعظم"**[6].

نلحظ صور الكناية في هذه الخطبة في قوله (عضوا على النواجذ، والحظوا الخزر، أنكم بعين الله، السواد الأعظم) ففي الصورة الأولى (عضو على النواجذ) هي كناية عن استجماع قوة الجيش والنواجذ هي: "جمع ناجذ، وهو أقصى الأضراس؛ وللإنسان أربعة نواجذ في كل شق؛ والنواجذ بعد الأرحاء، ويسمى الناجذ ضرس الحلم، لأنه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل؛ ويقال أن العاض على نواجذه ينبو السيف عن هامته نبواً؛ وهذا مما يساعد التعليل الطبيعي عليه؛ وذلك أنه إذا عض على نواجذه تصلبت الأعصاب والعضلات المتصلة بدماغه، وزال عنها الإسترخاء، فكانت على مقاومة السيف أقدر"[7]. إذن فأن النواجذ هي أقصى الأضراس ويعض المرء نواجده حين يشتد غيظه ولكن المراد منها أن تستجمعوا كل قوتكم فقد استطاع الإمام من خلال صورة هذه الكناية دعوه الجيش إلى استجماع قواهم لأجل الاستعداد للقتال من خلال معنى مضمر وعميق يستدعي الانجذاب والتفكير به، أما الصورة الثانية في قوله (والحظوا الخزر) والخزر من إمارات الغضب وكانت هذه الصورة الكنائية دعوة إلى ترك الغضب في المعركة وضبط النفس وهذه تعتبر حجه عليهم، أما قوله (أنكم بعين الله) أي أنتم في رعاية الله وحفظه فلا تخافوا ولا تخشوا من شيء فانتم ملحوظون بعنايته سبحانه وتعالى، وأيضا من صور الكناية في هذه الخطبة قوله(السواد الأعظم) وهي كنايه عن العدد الكثير من الجيش فهي إشارة إلى جمهور أهل الشام ويريد الإمام بهذا القول أن يجعل أصحابه مستعدين بكامل قواهم لمواجهة أي عدد كان من الجيش، فنلحظ أن صور الكناية هذه قد أضفت على الخطاب رونقاً وجمالاً جذاباً جعل النفوس تهوي وتنجذب إليه وتتلقاه بالقبول ومن ثمَّ يساهم في إقناع المتلقي بما أملي عليه من أفكار وأطروحات فتكون قادرة على إثبات المعنى مما يزيد تأثيره في النفس.

ومن صور الكناية خطبة الإمام علي (عليه السلام) في التحريض على القتال في صفين، **قائلا: "أن الله عز وجل قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب، وتشفي بكم على الخير، إيمان بالله ورسوله وجهاد في سبيله... فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدموا الدارع وأخروا الحاسر...، وأميتوا الأصوات؛ فإنه اطرد للفشل، وأولى بالوقار، والتووا في أطراف الرماح...، والصبر عند نزول الحقائق[8] أهل الحفاظ الذين يحفون برایاتكم ويكتنفونها، يضربون خلفها وأمامها،...، وأستعينوا بالصدق والصبر؛ فإنه بعد الصبر ينزل النصر"**[9].

ومن صور الكناية في هذه الخطبة قوله (عليه السلام)، (أميتوا الأصوات وينزل النصر)، تأتي هذه الخطبة في سياق التوجيهات العسكرية للمقاتلين في حرب صفين التي أمرهم بها الإمام علي (عليه السلام) ومن جمله هذه التوجيهات هي التزام الصمت في المعركة فقد شبه السكوت بالموت في صورة (وأميتوا الأصوات) وهي عبارة تشخيص فموت الصوت يعني الصمت او السكوت فقد استعار الإمام للصوت صفة من صفات الكائنات الحية إذ لم يصرح بلفظ المشبه به وهو الصمت وذكر شيئا من لوازمه وهو موت الصوت لوجود لازم من لوازمه دل عليه، فالموت هو تعبير عن الصمت المطبق حتى لا يعطي فرصة للعدو بإلحاق الأذى بهم، وقد علل لذلك بقوله:"فإنه أطرد للفشل وأولى بالوقار" وكان هذا التوجيه حجه للمقاتلين من اجل الابتعاد عن الفشل في الحرب وإعطاء الوقار للمقاتلين من خلال التزام الصمت والهدوء، إما الصورة الإستعارية الثانية في الخطبة فهي قوله

(فانه بعد الصبر ينزل النصر) والمقصود بنزول النصر هي عبارة لتجسيد الانتصار على جيش العدو كما أن النصر هو من عند الله (عز وجل) وهو ينزل من السماء وعبارة ينزل النصر هي تعبير مجازي لان النصر هو شيء معنوي وليس مادياً فقد استعار الإمام هذه اللفظة للانتصار والغلبة في المعركة.

ومن الصور الكنائية الحجاجية الجميلة والدقيقة التي تجذب المخاطب خطبة الإمام علي (علي السلام) في استنفار الناس للقتال، قائلا:" **عباد الله: ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض! أرضيتم بالحياة الدنيا من الأخرة بدلا، وبالذل والهوان من العز خلفا؟ أو كلما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم، كأنكم من الموت في سكرة، وكأن قلوبكم مألوسة[10]، فأنتم لا تعقلون، وكأن أبصاركم كمه[11] فأنتم لا تبصرون؛ لله أنتم! ما أنتم إلا أسود الشرى[12] في الدعة[13]، وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس! ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي[14]، وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زوافر عز يفتقر إليكم**"[15].

نلحظ صور الكناية الحجاجية في قول الإمام (عليه السلام) **(ما أنتم لي بثقة، سجيس الليالي)** ومعنى ذلك: "إنها كلمة تقال للأبد، تقول: لا أفعله سجيس الليالي"[16] ومعنى ذلك الدهر كله، ففي قوله سجيس الليالي كناية عن عدم الثقة، والمعروف عن الليل ظلامه الشديد والسكون والخوف الذي ينتابه فينتج عن ذلك فقدان ثقة المرء وسكينته في الليل، وبهذه الصورة الجميلة والملفتة للنظر عبر الإمام علي (عليه السلام) عن عدم ثقته في الناس جراء قعودهم عن الجهاد وتخاذلهم عن نصرة الحق وقتال الباطل المتمثل بمعاوية وجنوده، كذلك قول الإمام **(أثاقلتم إلى الأرض)** فهو تعبير كنائي عن التهاون والتخاذل بعدم النصرة والركون الى الدنيا والدعة والراحة، فقد عملت هذه الصور الكنائية الدقيقة على جذب النفوس للخطاب المراد إقناعهم به، بواسطة أسلوب حجاجي إقناعي متمثل بصور حسية واقعية لأجل جذب الناس وتغيير أفكارهم المتناقضة حول الجهاد في سبيل الله وقتال أعداء الإسلام والمسلمين.

ومن صور الكناية الحجاجية ما جاء في خطبة الإمام علي(عليه السلام) في استنفار بني تميم ليستنهض إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي ويرد عاديه بني تميم الذين أجاروه بها، فلم يجبه احد **فخطبهم وقال:" أليس من العجب أن ينصرني الأزد وتخذلني مضر؟ وأعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بي، وخلاف تميم البصرة علي وان أستنجد بطائفة منها تشخص إلى إخوانها فتدعوهم إلى الرشاد فان أجابت وإلا فالمنابذة والحرب، فكأني أخاطب صما بكما لا يفقهون حوارا..... ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للأيمان عود، وآيم الله لتحتلبنها دما، ولتتبعنها ندما**"[17].

نجد في هذه الخطبة صورة كنائية في غاية الروعة في توبيخ بني تميم وبعض الأقوام بسبب تخاذلهم عن نصره إخوانهم والقتال في سبيل الله في قوله:"**وآيم الله لتحتلبنها دما**" وهي صورة كناية تقال للإسراف في الأمر، وأصل القول أن الناقة عندما يتم حلبها بإفراط فيحلب الحالب الدم، أي عندما ينفذ حليبها أو يكون ضرعها فارغاً فينزل الدم، وهذه كناية عن أنكم لا تجنون خيرا جراء تقاعدكم وتخاذلكم عن نصرة إخوانكم وقد أسرفتم في القعود عن

القتال والدفاع عن الدين والإخوان، وهذه الصورة فيها تهديد بأن مآلهم ومصيرهم إلى الندم بسبب التخلف عن الجهاد ضد معاوية، وهي صورة في غاية الدقة فهي عندما تضرب الأسماع تجعل المقابل في دهشة وانجذاب لما لها من معنى ثابت مع الدليل فقد نقلت التفكير من الصور المجردة إلى صور حسية واقعية عملت على تجسيد المعنى وتقريبه وجعله ثابتاً في الذهن فيكون الإمام (عليه السلام) بهذه الصورة قد حفز القوم وأثار في قلوبهم الغيرة والحمية للدفاع عن اخوانهم لما لهذا القول من وقع شديد في نفوسهم انطلاقا من معانٍ حسية تلامس القلوب وتنجذب لها العقول وتتلقاها بالقبول مما يزيد من قوة الإقناع في الخطاب ومن ثمَّ تكون الكناية قد أضفت على الخطاب سمة حجاجية إقناعية كبيرة أسهمت في توليد دلالة النص وايصالها للمتلقي.

ومن صور الكناية الحجاجية ما جاء في خطبة الإمام علي (عليه السلام) في استنفار الناس لقتال معاوية، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي (صلى الله عليه واله وسلم) **ثم قال: "عباد الله: ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الارض! أرضيتم بالحياة الدنيا من الأخرة بدلا، وبالذل والهوان من العز خلفا؟ أو كلما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم، كأنكم من الموت في سكرة، وكأن قلوبكم مألوسة[18]، فأنتم لا تعقلون، وكأن أبصاركم كمه فأنتم لا تبصرون؛ لله أنتم ! ما أنتم إلا أسود الشرى في الدعة، وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس..... "[19].**

نلحظ الكناية في قوله **(كلما ندبتكم إلى الجهاد، دارت أعينكم)** فهو كناية عن الخوف والأضطراب أي أنه عندما ناديتكم الى الجهاد دارت أعينكم عنه نتيجة الخوف والتخاذل عن الجهاد في سبيل الله، وفي هذا القول(دارت أعينكم) أستند الإمام علي (عليه السلام) إلى قوله تعالى: {تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت}[20]، فنلحظ كيف استطاعت الكناية على تجسيد المعنى بصورة حسية أقرب الى النفس إذ يزداد معها التأثير والإقناع، وأيضا عملت على زيادة جمالية المعنى، فضلا عن ذلك الإيجاز الذي يحارب الملل والفتور، ومن ثمَّ عملت الاستعارة على جذب عقول المتلقين وتغيير أفكارهم وإقناعهم بضرورة الجهاد في سبيل الله.

وأيضا من صور الكناية الحجاجية خطبه الإمام علي (عليه السلام) لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له أنهم عبروا جسر النهروان، **فقال: "مصارعهم دون النطفة والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة"[21].**

فنلحظ صورة الكناية في قوله (مصارعهم دون النطفة) يقول الشريف الرضي:"يعني بالنطفة ماء النهر وهو أفصح كناية عن الماء وان كان كثيرا جما"[22]، وهي كناية عن صفة إذ أراد الإمام من هذا القول إقامة الحجة على إصحابه وإخبارهم بمصير الخوارج إذا عبروا الجسر وليثبت الإمام لأصحابه بأنهم أقوياء وذوي بأسٍ شديد لكي تكون قلوبهم حاضرة للقتال ولا يدب فيها الخوف وأيضا ليثبت لهم بأنه معهم وفي مقدمتهم، فنلحظ من ذلك طاقه الكناية الحجاجية وقدرتها على حسم الأمر وتثبيت المعنى، ومن ثمَّ إقناع المتلقي من خلال صور ومعانٍ جميلة ذات وقعٌ شديد في النفوس؛ لأننا في كثير من الأحيان نحتاج إلى تقويم أشياء ومعاني بالاعتماد على معاني أخر، فضلا عن تشبيه المعاني بمعان حسية من الواقع قادرة على تجسيد المعنى بصوره تامة.

تقع هذه الصورة الكنائية في إطار الحديث عن إستشراف الغيب عن الإمام علي (عليه السلام) إذ أعلم أصحابه بما سيؤول إليه مصير الخوارج إذا عبروا الجسر ومن ثمَّ جعل الإمام هذا الخبر حجة على أصحابه بأنه سيكون النصر حليفهم.

ومن صور الكناية خطبة الإمام علي (عليه السلام) لما قتل **الخوارج فقيل له: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم، فقال (عليه السلام): "كلا والله إنهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء، كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون أخرهم لصوصا سلابين"**[23].

نلحظ صورة الكناية في قول الإمام (قرارات النساء) كنايه عن موصوف وهو(الارحام)، أي أن له أعداء ومبغضين في أصلاب الرجال وأرحام النساء وكلما ظهر وطلع منهم أحد قتل حتى ينتهي أمرهم إلى أن يكونوا لصوصا سلابين وقتلة، وهذه حجة الإمام على أصحابه بان لا يأمنوا شر الخوارج ومكرهم في كل زمان ومكان، وذلك لسوء عقيدتهم التي نشأوا وتربوا عليها بعدم طاعة الإمام والخروج على امام زمانهم، فنلحظ ما للكناية من قدرة على رسم المعاني وتجسيدها في النفس بالاعتماد على معانٍ حسية واقعية، ومن ثمَّ ساهمت في عملية الإقناع والقبول لدى المتلقي.

وأيضا من صور الكناية الحجاجية خطبة الإمام علي (عليه السلام) في بعض أيام صفين لما رأى ميمنته قد عادت إلى مصافها وموقفها وكشف من بإزائها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم، اقبل حتى انتهى إليهم **فقال:" إني قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم يحوزكم الجفاة الطغام، واعراب اهل الشام، وانتم لهاميم العرب، والسنام الاعظم، وعمار الليل بتلاوة القران"**[24].

صورة الكناية في هذه الخطبة في قوله (السنام الأعظم) كناية عن علو مكانتهم وعزتهم وحميتهم وأنهم أشراف العرب والمحامين عن الإسلام، وأصل القول أن السنام يطلق على ظهر الجمل الذي يكون بشكل متحدب ومرتفع، فقد أراد الإمام (عليه السلام) من هذا القول أن يقوي عزيمة أصحابه ويدب في قلوبهم الاعتزاز بالنفس بعد ما رأى من قتالهم وجولاتهم في المعارك لكي لا تضعف العزيمة عندهم فأراد الإمام مدحهم ببعض الصفات لكي تكون حجه عليهم من خلال صورة الكناية الحجاجية مع التشبيه البليغ، لما لها من قدره على تجسيد وتقريب المعاني في النفوس من خلال معانٍ حسية واقعيه تلامس القلوب وتتلقاها بالقبول والإقناع.

ومن الكناية الحجاجية خطبة الإمام علي (عليه السلام) لما رجعت رسله من عند طلحه والزبير يؤذنونه بالحرب، قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله (صل الله عليه واله) **ثم قال: "أيها الناس أني قد راقبت هؤلاء القوم كي يرعوا أو يرجعوا ووبختهم بنكثهم وعرفتهم بغيهم، فلم يستحيوا، وقد بعثوا ألي أن ابرز للطعان، واصبر للجلاد وإنما تمنيك نفسك أماني الباطل وتعدك الغرور، ألا هبلتهم الهبول، لقد كنت وما أهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب ولقد أنصف القارة من رماها، فليرعدوا وليبرقوا فقد رأوني قديما وعرفوا نكايتي، فكيف رأوني ؟ أنا أبو الحسن الذي فللت حد المشركين، وفرقت جماعتهم، وبذلك القلب ألقى عدوي اليوم..."**[25].

الكناية الحجاجية واضحة في قوله (فليرعدوا وليبرقوا) وهي كناية عن الضجيج والفوضى والتخويف الذي يحدثه أعداءه في قلوب الناس ولكنهم يعرفون من هو أبو الحسن(عليه السلام)، والصورة الثانية في قوله (فللت حد المشركين) كناية عن قتالهم وتفريق جماعتهم، وهذه حجة الإمام على أعدائه بأنهم قد رأوه قديما في الحروب وعرفوا قتاله فهو علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي لا يثني ضربته فهو مسدد بالنصر والتأييد ومنصب من الله تعالى (عز وجل) وعلى يقين من أمره وأيضا ليعلم أنصاره وأصحابه مقامه وشجاعته في الحروب، فنلحظ كيف عملت صورة الكناية على تجسيد المعنى وتثبيته في قلوب السامعين فقد صورت المعنى بمعانٍ حسية واقعية وكانت من أجمل الطرائق في التعبير عن المعنى وما يجيش في الصدر، فعملت هذه الحجة على تثبيط عزيمة أعدائه وتقوية عزيمة أنصاره بأن قائدهم شجاع كرار منصور من الله (عز وجل) ومن ثمَّ أدت صورة الكناية إلى التأثير والإقناع وتوصيل دلاله النص إلى المتلقي.

وأيضا نرى حجاجية الكناية بصورة واضحة في خطبة الإمام علي (عليه السلام)في صفين لأصحابه عندما رأى عزيمتهم قد ثَبطت في استمرار القتال فقام الإمام علي (عليه السلام) فيهم خطيبا فحمد الله أثنى عليه **ثم قال: "أيها الناس قد بلغ بكم الأمر وبعدوكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلا أخر نفس، وان الأمور إذا أقبلت اعتبر أخرها بأولها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا وأنا غاد عليهم بالغداة، أحاكمهم إلى الله عز وجل"**[26].

نجد صورة الكناية جلية في قوله (ولم يبقَ منهم إلا أخر نفس) وهي كناية عن فنائهم والقضاء عليهم، وهذه حجة الإمام على أصحابه بأن عدوهم قد تكبد الأضرار الجسيمة المادية والمعنوية وقد أنهكت الحرب قواهم ولم يبقَ إلا القليل حتى ننتصر عليهم فلا تقل عزيمتكم ولا تتراجعوا في قتالهم طرفة عين أبدا؛ لأنكم بقتالكم هذا على حجة وحق، وهم يقاتلون على باطل؛ لذلك أسهمت هذه الصورة الكنائية على شد العزيمة والحث على الإصرار بالقتال ورفع معنويات أنصار الإمام (عليه السلام)، فنلحظ كيف أسهمت هذه الصورة في التأثير والإقناع من خلال تجسيد المعنى بمعان حسية واقعية قادرة على تثبيت المعنى في نفس السامع وإبعاده عن التفكير بالصور المجردة وبهذا تعمل على إيصال المعنى بأجمل وأبهى صورة مما يزيد تأثيره في النفس فتكون الكناية هنا ذات قيمة حجاجية إقناعية كبيرة.

الخاتمة:

وتأسيساً على ما سبق من صور الكناية الحجاجية في خطب الإمام علي (عليه السلام) الجهادية، تبين إن:

1) الكناية قد حققت الغاية المرجوة من ورودها في الخطاب إذ أسهمت برسم المعاني بصورة جميلة وجذابة وخلق معانٍ جديدة تجسد المعنى وتقربه للنفس.

2) تُعد الكناية أبلغ من التصريح؛ بسبب تعبيرها الإيحائي فهي تضفي على الخطاب سمة حجاجية إقناعية تعمل على استمالة المخاطب لما يعرض عليه وإقناعه بما أريد إقناعه به، وحمله على التأثير والإقناع وعاده ما يستعمل المتكلم الكناية لتقوية حجته وجذب أفكار المتلقين من خلال معاني حسية من الواقع.

الهوامش:

(1) لسان العرب: مادة كني: 233/15.
(2) البرهان في علوم القرآن: ج301/2.
(3) ينظر: البلاغة والتطبيق، د. احمد مطلوب: 37.
(4) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: 72.
(5) جواهر البلاغة: 292- 294.
(6) نهج البلاغة: ج139/1.
(7) شرح نهج البلاغة: م3، ج5: 169.
(8) الحقائق: النازلة الثابتة، اي بمعنى الهزيمة او المصيبة.
(9) وقعة صفين: 235- 236.
(10) من الألس: وهو الجنون واختلاط العقل.
(11) كمه: جمع اكمه من كمه بصره أي اعترته ظلمة تطمس عليه.
(12) الشرى: موضع تنسب اليه الاسد.
(13) الدعة: أي في وقت الدعة والخفض.
(14) يقال: لا اتيك سجيس الليالي: أي ابدا.
(15) نهج البلاغة: ج105/1.
(16) شرح نهج البلاغة: م1/ ج2: 190.
(17) جمهرة خطب العرب: 436-437.
(18) من الألس: وهو الجنون واختلاط العقل.
(19) تاريخ الطبري: م6/ 51.
(20) سورة الأحزاب: آية 19.
(21) نهج البلاغة: ج132/1.
(22) م ن: 132.
(23) نهج البلاغة: ج1/ 132.
(24) وقعة صفين: 256.
(25) جمهرة خطب العرب: 288.
(26) وقعة صفين: 476.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. لسان العرب، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت 711ه)،دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان، ط1، د.ت.
2. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي ، تحقيق: محمود ابو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط3، ج2، 1980م.
3. البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب د. احمد مطلوب احمد الناصري التكريتي ، نشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جمهورية العراق ، ط2، 1999م.
4. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي،(ت 471ه)، تحقيق: محمد التنيجي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ط، د.ت.
5. جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع،تأليف السيد احمد الهاشمي،ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د.ت.
6. نهج البلاغة للشريف الرضي، شرحه الشيخ محمد عبدة، دار انتشارات لقاء، قم، ايران، ط1، 2004م.
7. شرح نهج البلاغة عبد الحميد بن ابي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء التراث العربي، القاهرة ، ط1، 1959م.
8. وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري ت (212ه)، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، ط2، 1382م.
9. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، د.ت.
10. تاريخ الطبري تاريخ الامم والملوك، لابي جعفر محمد ابن جرير الطبري (224_ 310ه)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط2 ، دار المعارف – مصر ، 1967م.